سيدة الوطن الجميلة

أمان السائح [1]

سيدة العمل الأردني، سيدة الوطن الجميلة، صاحبة الخلق والوجه الجميلين، ومالكة الأيادي البيضاء التي لا تقف عند حد.. في حضرتك سيدتي تتفاوت الصُّوَر أمامنا، لكنها لا تظهر إلا جميلةً رائعةً، يتفاوت شكل الأحداث معك وأمامك وبك، لكنَّها أيضًا لا تظهر في مخيلتنا وعلى محياك الجميل إلا ناصعةً قوية، تفتح أبوابًا في جنة الأردن، وعند رب العالمين في جنة السماء، لأن ما امتلكت من طاقات، سيكون حتمًا بوابة عبور إلى كلِّ ما يمكن أن يكون مختلفًا..

لم تكن المؤسسة العظيمة رائدة الفكر والثقافة، والتوازن بالطرح والمنطق، «مؤسسة عبدالحميد شومان « إلا مُحقّقةً بامتياز، وقد كتبت اسمَك على بوابتها الثقافية والأدبية والاجتماعية، لتمنحَكِ لقب «ضيف العام»، فـ«شومان الأردن» بهذا الشموخ والاسم الخالد والعطاء المختلف، هي من منحتك هذا العام هذا اللقب، لكنَّكِ في قلوب الأردنيين جميعًا شبابًا وشيبًا، نساءً ورجالًا، وربما هذا الجيل الجديد.. أنت أمُّ الجميع، وسيدة عرش الإنسانية والعمل الاجتماعيّ الذي لم يغب عنك حتى هذه الساعة التي غادرتِ فيها مبنى الرواد الكبار، لتكوني بين من يحبونك الآن، وسط قلوبٍ تدعو لك دومًا بحياة مليئة بالصحة والطاقة الإيجابية، فنحْن جميعًا و«شومان» نمنحكِ كل عام وعبر كل يوم لقبًا جديدًا يليق بعطائك وأُمومتك وصبرك، وهذه الأجيال التي تربَّتْ بين يديك، وفي عينيك،

(1) صحفية متخصصة في الشؤون التربوية.

ومرَّتْ من خلال قلبك، وصوتك الذي ينبض دومًا بالحياة.. تدعو الله أن يديم حُبَّكِ وعطاءكِ، وأدامك فخرًا وذخرًا لمن حولك سيدتي..

أتعلمون لماذا «هيفاء البشير»، مع حفظ الألقاب؟! أتعلمون لماذا تعتلي دومًا سيدة الحب والعطاء والتقدير؟! لأنها تلك الإنسانة العظيمة التي لم تتوقف لحظةً في حياتها عن الإبقاء على طاقتها الإيجابية، لتكون مظلةً للجميع من حولها، ولتمنح الأمل، وتقوم بالواجب للصغير قبل الكبير، ولتقول كلمة حقٍّ تجاه الوطن ورجاله ونسائه، ولتكون دومًا الحاضرة في كلِّ مناسبات الأردن، ولتكون أيضًا سيّدة الشاشة في يوم المرأة، وسيّدة القلوب يوم الأم، وسيّدة الأردن والوطن في كل يوم، لذلك نحن الآن نعتلي المنصة لا لنقول خطابًا ممنهجًا، بل فقط لنقول كلمة حق لك سيدتي..

أذكر جيدًا قبل سنوات طويلة جدًّا،.. نعم!.. عشرات السنين، عندما بدأتُ عملي الصحفي، وعندما كنت ألتقط الخبر وأبحث عن المعلومة، وأنظر لمن حولي بأنهم أناسٌ مختلفون، كيف يمكن أن أصل لثقتهم، وأن أكون دومًا على قدر المسؤولية،.. لكنك أنت سيدتي كنت «غير»!.. نعم!.. لقد كنت تمنحينني حبًّا منذ أول لقاء أجريته معكِ بمناسبة يوم المرأة العالمي،.. كنتُ في حضرتك تلك الطفلة الكبيرة، التي منحتْها «أُمها» ثقةً وحبًّا ومعلومات، وكان اللقاء الأجمل الذي بدأتُ به طريقي الإعلامي، لأنه كان معك سيدتي الفاضلة،.. لقد كنتِ تحدثينني عن حبِّك لأبنائك، عن تاريخك، عن لحظات وفاة زوجك البطل، عن مسؤوليتك تجاه البيت، وعن عشقك للوطن،.. للعمل الاجتماعي، تحدثتِ معي عن أحلامك وطموحاتك، وكيف أنك تريدين أن تصنعي من عالم المرأة الأردنية، واحةً خصبةً يُباهى بها العالم، وأنَّ نساء الأردن هُنَّ الطاقة، هُنَّ العطاء، وهنَّ الماضي والحاضر..

كانت كلماتك آنذاك بمثابة أول الدروس في حياتي المهنية، وجدتُ كيف يمكن للمرء أن يصنع من الحزن والقهر نجاحًا، وكيف يمكنه أن يحوّل الدموع ووجع الفقدان إلى عالمٍ

من العطاء والمسؤولية، وأنَّ أمًّا في ريعان شبابها فجأة تفقد السند ومصدر المال والزوج والأب لأبناءٍ ستة لم يعلموا حينها أنَّ والدهم قد غاب، ليس بالمعنى الحقيقي للموت، لا بل لأنك، يا سيدتنا جميعًا، انتزعتِ منهم حرقة الوجع والفقد والغياب، لتكوني وسطهم وبينهم ومعهم الأم والأخت والأب والسند، والأهمُّ مصدر الإلهام.

سيدتي، لقد كنت تمنحينني خارطة طريق للحياة العملية المهنية، فإن وقعتُ بمطبٍّ حياتي أتذكَّرك دومًا، لأعلم أنَّ أيَّ محطة مرهقة في حياتي لايمكن أن تصل إلى حد ألمك وحياتك وصبرك، فكنتُ أتجاوز كل شيء، وأسير قدمًا، لأنك ألهمتني لوحة وريشة وقلمًا لكي أرسم وأخطَّ أيامي..

وأذكر يا سيدة العمل النسويِّ كم كنتِ وما زلتِ حريصةً على إيفاء من تعلمين، وبالرغم من شعورك أحيانًا بالإعياء، أو عارض صحّي، أو أيّ وجع بسيط، إلا أنّكِ كنتِ حاضرة، وتقومين بواجب الفرح والعزاء، والمرض تجاه من تعرفين، أو حتى من تسمعين بحاجته إلى أن تكوني إلى جانبه، فتواصلين السؤال وتبقين على عهد الوفاء كما أنتِ دومًا..

ودائمًا يطرق في أذني صوتك عندما تبدئين مكالمتكِ معي دون مقدماتٍ لتقولي: «أماني»!.. نعم ما زلتِ تخاطبينني هكذا، رغم أنَّ اسمي هو «أمان» بدون الياء، لكنني أحبُّ أن أسمعه منك، لأنه لا يأتي من حنجرتكِ لا بل يخرج من قلبك، وأنتِ تقولين لي: حبيبتي، عندي مناسبة في مكان ما، واحتفالٌ بيوم المرأة أو غيره، و«بدي إياك تحضري وتكتبيه للجريدة»، أحيانًا كنتُ أتقاعس أو أركن نفسي للكسل وعدم الرغبة في الحضور، لكنني كنت أغيِّر ترتيباتي ونفسيتي لأكون معك، ولا أضيع فرصة الالتقاء بك؛ فمثلكِ مكسبٌ وإضافةٌ وتاريخٌ يجب ألا يغادرنا..

سيدتي.. سيدة العمل وسيدة العطاء والطاقة الإيجابية، لن أسألك كم تبلغين من العمر، ولن أقف عند عتبات السنوات أو عدِّ الشَّيْب في الرأس، أو تاريخ حياتك، أو حتى محطات

نجاحك أو بصماتك.. لكنْ، أقول إنَّ هيفاء البشير «أم مازن» هي قصة حياة، قصة أجيال، قصة عمان والسلط، وفلسطين أيضًا،.. وهي صوتٌ ينبض بكلِّ شيء.

اسمحي لي سيدتي أن أعود لمقالي الذي كتبتُه من قلبٍ يعجُّ بالقهر، في مناسبة كانت الأكثر وجعًا في حياتك، عندما دقَّت ساعة القهر والموت والقدر معًا لتعلن فقدان بِكركِ وسندكِ.. يومٌ حزينٌ أطاح بنا، لكنَّكِ أنتِ، وأنت ترقبين الآلالف يتدفقون إلى خيمة العزاء، كنتِ الأقوى والأكثر صبرًا، حتى في لحظة الموت القسريّ صدَّرْتِ لنا جميعًا قصة نجاح وقصة امرأةٍ من حديد، وقلبًا صخريًّا ينبض بحُبٍ لا يشبه شيئًا..

سيدتي.. أم مازن في يوم المرأة اليوم أنت كل النساء، وأنت مدرستنا التي لا نريدها أن تغيب، منك نستمدُّ وهج العمل والعلم والثقافة واللسان المفعم بالحب، وفي يوم المرأة التي أسهمتِ بتوطينه في الأردن، لك كل العزاء والسند والدموع التي بكت ابنك البكر، فعيناك لطالما تجرعتا الفقدان، وعاشتا سنوات من العذاب، لكنهما صنعتا رجالًا.

في يوم المرأة، ننتظر عودتك إلى ساحة الإنجاز، أنت سيدة الأماكن الجميلة، والموقف الدافئ.. هيفاء البشير، مصابك جلل، وفي يومك لتتذكري دومًا أننا جميعًا أبناؤك.. ننتظر قوتك ونراهن على ثباتك وصبرك، فقد تعلمنا جميعًا منك أنَّ النساء قوة وصبر ومثابرة، وأنتِ دومًا أصلُ كلّ حكايات نساء الوطن».

سيدتي.. أم مازن، اسمحي لي أن أكون بين يديك بنتًا أتمنى أن تكون قد أعطتكِ ما تستحقين من كلمات تليق بك، اسمحي لي أن أكون صحفية وإعلامية تشرَّفَتْ بإجراء لقاءاتٍ مع حضرتك، وقدَّمتْ للقارئ صورًا حقيقيةً عنكِ، واسمحي لي أن أكون بين يدي الأم صاحبة الضحكة الدافئة والصوت الشجيّ، لأُقبِّل جبينك ورأسك، لأنك منحتني شرف أن أعتلي هذه المنصة الكريمة لأقول كلمة قلبٍ فيك.

أطال الله في عمرك وسنوات بقاءك.. أطال الله في عطائك ووجودك.. وأدام الضحكة في وجهك، والحب في قلبك، والعطاء في روحك، وأبقى البياض في يديك لتمتدَّا لكلِّ محتاجٍ للمساعدة أو لمسة عطف، أو حتى كلمة نصح..

مثلك لن يغيبَ.. ومثلك لا يمكن أن يكون نقطة عابرةً، ومثلكِ أيضًا يجب أن يبقى أيقونة للأجيال، لأنَّ من يعلم عنك يفقد الكثير من مقومات الحياة السلبية، ويزج نفسه بألق التاريخ والحضارة،..

سيدتي.. أمَّ عمان والسلط.. أمَّ مازن.. من خلال نظراتك التي أراها الآن، وهذا الشعاع الخجول المتواضع في عينيك الجميلتين، المفعمتين بالحب والصدق، ومحبة كلِّ من يجلس إلى جانبك، وكل من هو بعيد عنك..

نقول: شكرًا «شومان» الثقافة، شكرًا شومان المؤثرة، تلك المؤسسة التي صنعت للثقافي معنى، وإطارًا، وشكلًا إيجابيًّا يعشقه أهل الأردن والمنطقة والعالم..

شكرا على الدعوة لنقول شهادة حب في سيدة العام وضيفة العام وصوت العام ووجعه ونبضه الإيجابي، أمًّا وصديقةً وأختًا للجميع، هيفاء البشير!!

أطال الله في صدى صوتك ونُصْحكِ ووجودك، ومَنَحَكِ مزيدًا من الطاقة لتبقي تعتلين سيدة الحب على عرش القلوب والفكر والأيام والتاريخ..

هيفاء البشير.. شكرًا لأنَّكِ أيضًا آمنت بقلمي وصوتي وحضوري..

نعتز ونفتخر بك..